الرسالة

(١ كورنثوس ١: ١٠–١٧)

يا إخوةُ أطلُبُ إليكم باسمِ ربِّنا يسوعَ المسيح أن تقولوا جميعُكم قولاً واحداً وأن لا يكونَ بينكم شِقاقاتٌ بل تكونوا مكتَمِلينَ بفكرٍ واحدٍ ورأيٍ واحد* فقد أخبَرَني عنكم يا إخوتي أهلُ خُلُوي أنَّ بينَكم خصوماتٍ* أعني أنَّ كلَّ واحدٍ منكم يقول أنا لبولُسَ أو أنا لصفا أو أنا للمسيح* ألعلَّ المسيحَ قد تجزَّأَ. ألعلَّ بولسَ صُلبَ لأجلِكم أو باسمِ بولسَ اعتمدتم* أشكرُ اللهَ أنّي لم أعمِّدْ منكم أحداً سوى كرِسبُسَ وغايوس* لئلاَّ يقولَ أحدٌ إنّي عمَّدتُ باسمي* وعمَّدتُ أيضاً أهلَ بيتِ استفاناس. وما عدا ذلك فلا أعلمُ هل عمَّدتُ أحداً غيرَهم* لأنَّ المسيحَ لم يُرسلْني لأُعمِّدَ بل لأبشِّرَ لا بحكمةِ كلامٍ لئلَّا يُبطَلَ صليبُ المسيح.

خصوبة أهل بيت الله

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ٢٥ تمّوز للقدّيسة حنّة جدّة الإله. أيضًا، نعيّد لحبلها العجائبيّ بالعذراء مريم في ٩ كانون الأوّل، وفي ٩ أيلول نعيّد لها ولزوجها يواكيم الصدّيق. إذا قمنا بجولة على ما يختصّ بالقدّيسَين يواكيم وحنّة في النصوص اللّيتورجيّة وسائر الأدب الكنسيّ، نرى أنّ أهمّيتهما في الوجدان الكنسي لا تنحصر بكونهما جَدَّي المسيح إلهنا بالجسد. يمثّل القدّيسان يواكيم وحنّة، وقد «حان ملء الزمان»، إنتهاء زمن عار عقر الشعب الأثيم (لو ٢٣: ٢٩) وابتداء زمن الخصوبة المقدّسة، بفضل افتقاد الله، المُفتَتَح بمريم، الأمّ البتول، التي أثمرت ابن الله نفسه، وهو كمال الخصوبة.

نقرأ في سفر التكوين أنّ الله أمَر نوحَ وبَنيه بأن يثمروا ويكثروا ويملأوا الأرض (تك ٩: ١)، أي إنّه أنشأ بهؤلاء النّسل الطبيعيّ الجديد للبشر. أيضًا، لمّا أبدى إبراهيم إيمانًا وطاعة تجاه الله، ولم يكن بعد يعرفه، باركه الله واعدًا أن يكون نسله أكثر عددًا من نجوم السماء (تك ١٥: ٥)، وقد تأسَّس نسل المؤمنين بهذا الوعد. إذًا، كانت الحالتان من ضمن تدبير الله الخلاصيّ: عودة البشريّة إلى الأرض بعد إفنائها (نوح وبنوه) وانتقال هذه البشريّة من الحياة بحسب ناموس الطبيعة إلى الحياة مع الله. هكذا، تكون مشكلة العقم أكبر بكثير من مجرّد مسألة إنجاب وأسرة ومجتمع إلخ... صار العقم لدى شعب إسرائيل شرًّا ولعنةً لأنّه ينقض وصيّة الله ويعترض وعده الخلاصيّ. أي مَن كان محرومًا ثمرة البطن، صار في الوقت عينه كأنّه يتعدّى الأمر الإلهيّ لنوح وبنيه ويقصي نفسه عن وعد الله لإبراهيم. إذًا، العقم في المفهوم السائد آنذاك شرٌّ، كالألم والموت، اللّذين ما كانا لولا الخطيئة وغضب الله. لا ننسى العار الذي يكسو مَن لا يترك له ذريّة في الأرض. شكا إبراهيم: «ما الذي أفيده بتبنّيّ خادمي، إن كنت أنصرف من دون أبناء»، (تك ١٥: ٢–٣). الله وحده يمنع ثمرة البطن (٣٠: ٢)، ووحده يفتح حضن العاقر (٣٠: ٢٢). يلفتنا أنّ زوجات أجداد شعب

العدد ٢٩ / ٢٠١٨
الأحد ٢٢ تموز
تذكار القديسة مريم المجدليّة
المعادلة الرسل
اللحن السابع
إنجيل السَحَر الثامن

الله الثلاث، سارة ورفقة وراحيل، كنّ عاقرات قبل أن تُعطى لهنّ ذريّة من لدن الله، ليظهر الله فيهنّ قاهرًا للعقم، لا الجسديّ فحسب بل «الإيمانيّ» أيضًا، إذا جاز التعبير، إذ من تلك العاقرات خرج أركان الشعب المختار. يبقى الله أمينًا لعهده، ويجدّد لشعبه المختار وعده الأوّل، شرط بقاء هذا الشعب أمينًا له. «لا تكون مسقطة ولا عاقر في أرضك، وأكمل عدد أيّامك» (خر ٢٣: ٢٦)، «لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك» (تث ٧: ١٤).

رغم اليقين بأنّ مفتاح الخصوبة بيد الله وحده، بقيت الشريعة، مثلاً، تمنع الخَصِيّ (أو غير القادر على الإنجاب) من تقديم الذبائح، مصنّفة إيّاه بمنزلة ابن زنى، مانعةً إيّاه من الدخول في جماعة الربّ (تث ٢٣: ٢). أصبح الشعب التائب، بعد كارثة السّبي إلى بابل، يسمع من الله كلامًا جديدًا يثبت أنّ الخصوبة في الإيمان هي الأساس، ومَن كان خصبًا في الإيمان له في ذاكرة الله مكانٌ حتّى لو لم يُقم في الأرض نسلاً. يقول الله بنبيّه إشعياء: «هكذا قال الربّ للخصيان... الذين يتمسّكون بعهدي، إنّي أعطيهم في بيتي... موضعًا واسمًا خيرًا من البنين والبنات، إسمًا أبديًّا لا ينقطع» (٥٦: ٣–٥). هذا الإسم الأبديّ الذي لا ينقطع ما هو إلاّ اسم ابن الله الكلمة، الإسم الجديد الذي بات شعب الله يسمّى به.

ضمن هذا الإطار الشرائعيّ الإجتماعيّ العامّ، حبلت القدّيسة حنّة جدّة الإله بمريم العذراء الكليّة القداسة، حبلاً عجائبيًّا بعد عقم. مصدرنا إلى هذا الحدث هو كتاب من الأدب المسيحي الأقدم اسمه «إنجيل ميلاد مريم»، الذي يروي حدث الحبل العجائبيّ. يقول الـ«إنجيل» المذكور إنّ والدَي العذراء المباركة كانا بارَّين صدّيقَين أمام الله، وَرِعَين وبلا عيب أمام الناس. كانا يقسمان كلّ ما يُرزقان به إلى ثلاثة أقسام: قسم يهبانه إلى الهيكل، وقسم يوزّعانه على المحتاجين والغرباء، ويتركان ما بقي لمعيشتهما. وقد بقيا معًا في البتوليّة طيلة عشرين سنة، طبعًا بلا أولاد. رفعا نذرًا، كانا يجدّدانه في هيكل أورشليم كلَّ عيدٍ، وهو أنّه إذا أراد الله أن يُنعم عليهما بولد، سوف يفرزانه لخدمة الربّ. ذات يوم، إذ كان عيد التجديد (يو ١٠: ٢٢)، صعد يواكيم مع باقي عشيرته إلى الهيكل ليقدّم نذوره. هناك، لمّا رآه رئيس الكهنة، إزدرى به وبتقدماته قائلاً: كيف يجرؤ من ليس له أولاد أن يأتي بالتّقدمة أمام الربّ كمَن له ذريّة؟ على هذه الخلفيّة يكون يواكيم ملعونًا، وتاليًا، ليس له أن يقدّم لله تقدمات في هيكله! رحل يواكيم عن المدينة إلى القفر منقطعًا إلى الصوم والصلاة وناذرًا، إن رزقه الله ولدًا، أن يفرزه لخدمة الخالق في هيكله. بعد أربعين يومًا على هذه الحال، أتاه ملاك الربّ، مبشرًا إيّاه بأن حنّة سوف تحبل وتلد ابنة تسمّى مريم، والإبنة ستتربّى في الهيكل كما نُذِرَ، وهي نفسها ستلد ابن الله وهي بعدُ عذراء، بحال غريبة لا تفسَّر. أمره الملاك بالعودة إلى زوجته التي ستكون بانتظاره عند الباب الذهبيّ لأورشليم. بعد ذلك، ظهر الملاك لحنّة أيضًا، معزّيًا إيّاها بقوله: «لا تخافي، ولا تظنّي ما ترينه وهمًا. أنا هو الملاك الذي حمل تضرّعاتك إلى حضن الربّ، وأنا مرسَل لأخبرك بأنّك ستلدين ابنة، تُسمَّى مريم وستكون مباركة أكثر من كلّ النساء». وأنبأ الملاكُ حنّةَ بكلّ ما سيكون للعذراء مريم،

الإنجيل

(متى ١٤: ١٤–٢٢)

في ذلك الزمان أبصرَ يسوعُ جمعاً كثيراً فتحنَّن عليهم وأَبْرَأَ مرضاهم* ولمَّا كان المساءُ دنا إليهِ تلاميذُهُ وقالوا إنَّ المكانَ قَفْرٌ، والساعة قد فاتَت فاصْرِفِ الجموعَ ليذهبوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً* فقال لهم يسوعُ لا حاجةَ لهم إلى الذهابِ أَعْطوهُم أنتم ليأكلوا* فقالوا له ما عندنا ههنا إلاَّ خمسةُ أرغفةٍ وسمكتانِ* فقال لهم هلمَّ بها إليَّ إلى ههنا* وأمر بجلوسِ الجموع على العشب. ثمَّ أخذ الخمسَةَ الأرغِفَةَ والسمكتَيْنِ ونظرَ إلى السماءِ وبارَكَ وكسرَ وأعطى الأرغِفَةَ لتلاميذِهِ والتلاميذُ للجموع* فأكلوا جميعُهم وشبعوا ورفعوا ما فَضَلَ من الكِسَرِ اثنتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مملوءةً* وكان الآكِلونَ خمسَةَ آلافِ رجلٍ سوى النساءِ والصِبيان* وللوقتِ اضْطَرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموع.

تأمل

«تعلّقوا بالقديسين، لأننا بتعلقنا بهم نتقدّس». وقد جاء في الكتاب: «مع المتطهّر تبدو متطهّراً ومع المختار تبدو مختاراً، ومع المعوج تبدو ملتوياً» (مز ١٧: ٢٦-٢٧)، فلنتعلّق إذاً بالرجال الأطهار الأبرار، لأنّهم مختارو الله.

لِمَ الخصومات بينكم، والأهواء والشقاق والتفرقة، لِمَ الحرب؟

أليس لنا إله واحد، ومسيح واحد، وروح نعمة واحد سُكب علينا ودعوة واحدة في المسيح؟ لماذا نمزّق ونقطّع أوصال أعضاء المسيح؟ لماذا نثور على جسدنا الخاص؟ لماذا نصل إلى هذا الحد من الجنون وننسى أننا أعضاء بعضنا البعض؟

أذكروا أقوال الرب: «الويل لذلك الرجل! لقد كان خيراً له أن لا يولد، بدلاً من أن يعثّر أحد مختاريّ (مت ٢٦: ٢٤)، لقد كان من الأفضل له أن يعلّق حجر رحى في عنقه ويزجّ في أعماق البحر (لو ١٧: ٢) على أن يفسد أحد مختاريّ. إنّ تفرقتكم أثارت الاضطرابات في كثير من النفوس فألقت البعض منها في القلق، والبعض الآخر في الشك، وجلبت الحزن علينا نحن جميعاً، وهي لا تزال مستمرة.

عاودوا قراءة رسالة لجهة عيشها في الهيكل ثمّ ولادتها قدّوسَ الله، وهي بعد بتول.

إذاً، الأهمّيّة التي يراها الوجدان الكنسيّ في الصدّيقَين يواكيم وحنّة، أعظم بكثير من الحبَل العجائبيّ، وحتّى من ارتباطهما الجسديّ بابن الله المتجسّد، على أهمّيته. كلّما عيّدنا للقدّيسة حنّة أو للجَدَّين القدّيسَين معًا، نعيّد لانحلال عار العقر وعودة الخصوبة المُقَدَّسة. نعيّد، بالجدَّين القدّيسَين، لانتهاء العقم الروحيّ تمامًا، ولإبتداء السلالة الجديدة، سلالة الأمناء على عهد الله، سلالة الذين أعطاهم ابن الله المتجسّد «سلطانًا أن يصيروا أولاد الله» (يو ١: ١٢).

الشّهيدة مارينا الأنطاكيّة

عيّدت كنيستنا المقدّسة في السابع عشر من شهر تمّوز للقدّيسة الشهيدة مارينا. عاشت القديسة في زمن مُلك الإمبراطور كلوديوس في حدود العام ٢٧٠ م. أصلها من أنطاكية بيسيديا وهي ابنة أحد كهنة الأوثان المدعوّ أيديسيموس. رقدت والدتها وهي في الثانية عشرة فكُلِّفت مربّية تقيم في الريف بالإهتمام بها. عِشرَةُ المسيحيّين في تلك الناحية ترافقت مع استعدادات الفتاة الطبيعيّة فأنبتت، في قلبها، إيمانًا حقّانيًّا. لمّا بلغت الخامسة عشرة، تملّكتها محبّة المسيح، لدرجة أنّها لم تعد ترغب ولا تفكّر في شيء إلاّ مشاركة الشهداء القدّيسين ببذل الدّم حبًّا بالله. لذا، كانت أبعد من أن تُخفي ميلها، ولم تتورّع عن المجاهرة بمسيحيّتها وذمّ الأصنام، الأمر الذي أثار أباها فحرمها الميراث.

في أحد الأيّام، فيما كان حاكم آسيا، المدعوّ أوليبريوس، في طريقه إلى أنطاكية، إلتقى القدّيسة ترعى القطعان مع نساء أُخريات من القرية. أُخذ الحاكم بجمالها، فأمر رجاله بأن يحضروها إليه ليتّخذها زوجة له. لمّا بلغ بها الحاكم ومَن معه القصر، سألها مَن تكون فأجابت بلهجة واثقة: «إسمي مارينا وأنا ابنة أبَوين حرَّين من بيسيديا، لكنّي خادمة إلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي خلق السماء والأرض». أُودعت السجن، حتى اليوم التالي، وكان يُعيّد فيه لعيد وثنيّ كبير. لمّا أُحضرت، دُعيت إلى التّضحية للآلهة أُسوَة ببقيّة الشعب، فأجابت: «أذبح ذبيحة التسبيح لإلهي لا لأصنامكم الخرساء التي لا حياة فيها». حاول أوليبريوس إقناعها بالحسنى صونًا لفتوّتها وجمالها، لكنّها أجابت: «إنّ كلّ جمال جسديّ يذوي فيما تجمِّل العذاباتُ، من أجل اسم المسيح، النّفسَ وتعدّها للعرس الأبديّ». أثارت شجاعة القدّيسة حفيظة الحاكم فأمر أن تُمدّ على الأرض وتُضرب بالسياط المشوّكة وأن يُخدَّش جسدها بأظافر حديديّة. نتيجة ذلك، سال دم القدّيسة وصبغ الأرض، لكن لم تخرج من فمها صرخة ألم ولا اضطربت نفسها وكأنّ شخصاً آخر يكابد عنها. طال تعذيبها ساعات على هذا النحو، أُعيدت بعدها إلى السجن. كلّ هذا دفعها للصّلاة إلى ربّها سائلةً معونته في هذه المحنة لتتابع الإعتراف بإيمانها.

كانت لمارينا رؤيا عاينت فيها الشيطان تنّينًا ينفث ناراً ودخاناً

باتّجاهها، ومع أنّها ارتعبت من المنظر، إلاّ أنّ صلاتها ما لبثت أن فعلت فعلها، إذ تحوّل التنين إلى كلب أسود ضخم منفّر، داسته بنعمة الله وقتلته. حينئذٍ، امتلأ السجن نوراً متلألئاً ينبعث من صليب ضخم استقرّت عليه حمامة بيضاء. نزلت الحمامة ووقفت بجانب مارينا وقالت لها: «إفرحي، يا مارينا، يا حمامة روحيّة لله، لأنّك غلبت الخبيث وأخزيته. إفرحي يا خادمةً أمينةً للرّبّ الذي أحببته من كلّ قلبك ومن أجله هجرت كلّ ملذات الأرض العابرة. إفرحي وسُرّي لأنّ الوقت حان لتتلقّي إكليل الغلبة وتدخلي باللّباس اللائق، مع العذارى الحكيمات، خدر ختنك وملكك».

صباحاً، نُقلت مارينا مرّة جديدة إلى أمام الحاكم. لمّا أبدت تصميماً أشدّ من ذي قبل، أمر أوليبريوس بتعريتها وإحراقها بالمشاعل. بعدها أُلقيت في الماء لتختنق فأعانتها الحمامة البيضاء، عندئذٍ إهتزّ كثيرون لمرآها واعترفوا بالمسيح، فاغتاظ الحاكم وأمر بقطع رأسها. في الطريق إلى مكان الإعدام آمن الجلاّد بالمسيح، فلم يشأ بعدُ أن يمدّ يده لأذيّتها، فقالت له القدّيسة: «لا نصيب لك معي إذا أمسكت عن إتمام ما أُمرت به». عندئذٍ، قطع هامتها بيدٍ مرتجفة. يروى أنّ إنساناً مسيحيًّا، اسمه تيوتيموس، كان يتردّد على القدّيسة حاملًا لها طعاماً، جاء وأخذ جسدها وواراها الثّرى بلياقة. وقد ظلّت بقايا القدّيسة، حتى زمن الصليبيّين (١٢٠٤ م.) تُكرَّم في القسطنطينية.

من أقوال الآباء

عندما استخرج الناس الذهب والفضّة والأحجار الثمينة من الأرض، وعندما صاروا يصنعون الملابس ناعمة أكثر ممّا يلزم، وعندما حصلوا على الكثير من الأمور الأخرى من مثل هذه، والتي هي أسباب الحروب والثورات والأنظمة المستبدّة، غرقوا في شكل سخيف من الإزدراء.

لذلك، هم لا يُظهرون أي عطف على أيٍّ من إخوتهم البشر البائسين، ولا يريدون أن يعطوا من أموالهم الزائدة لتوفير ضروريّات الحياة للآخرين. أيّ قسوة هي هذه! أيّ فظاظة! إنّهم حتى لا يفتكرون بأنّ الفقر والغنى والحريّة والعبوديّة وغيرها لم تظهر كلّها في الجنس البشريّ إلاّ بعد السقوط، مثل الأمراض التي تتجلّى جنباً إلى جنب مع الشرّ وهي في الواقع تعبير عن هذا الأخير...

القديس غريغوريوس اللاهوتي

من قوانيننا

+ لِيُفرَض على المرأة التي تقوم بعمليّة الإجهاض مدّة عشر سنوات في التوبة سواء أكان الجنين تامّ التكوين أو لم يكن (الرسل ٦٦، أنقيرة ٢١، المجمع السادس ٩١، باسيليوس ٨٠، المجمع الأوّل ١٢).

القديس بولس الرسول ماذا كتب إليكم أولًا في بداية تبشيره؟ الحق، إنه بوحي الروح بعث برسالة فيما يتعلق به وبأبلّس وصفا، لكن تلك الشقاقات كانت أقلّ خطراً، لأنهم كانوا عندئذ ينحازون لرسل كانوا قد شهدوا للمسيح، ولرجل كانوا قد اختبروه. لكن اعتبروا مَن هم الأشخاص الذين يثيرون الآن البلبلة بينكم ويشوّهون محبتكم الأخوية المعروفة...

فلنعمل في الحال على اقتلاع الشرّ، ولنجثُ عند قدمي السيّد متوسلين إليه بدموع غزيرة أن يشفق علينا ويصالحنا وأن يردّنا إلى طريق المحبة الأخوية، لأن المحبة هي باب البرّ الذي ينفتح على الحياة كما هو مكتوب: «افتحوا لي أبواب البّر، فأدخل فيها وأعترف للرب، هنا باب البرّ، لأن منه يدخل الأبرار» (مز ١١٧: ١٩-٢٠).

عديدة هي الأبواب المفتوحة. باب البّر هو باب المسيح. فطوبى للذين يدخلون فيه ويسيرون في طريق القداسة والبرّ (لو ١: ٧٥) ويتمّون كل شيء من دون بلبلة!

القديس إقليمس الرومي